المحاضرة الثانية:
نظريات الإيقاع في الشعر العربي

يعدّ مصطلح الإيقاع أحد المصطلحات الّتي وقع فيها الخلاف والجدال بين أهل الاختصاص حتّى فقد كثيرا من ملامحه، فإذا الدارسون تائهون لا يكادون يعرفون له أرضا أو وطنا. وترجع إشكالية هذا المصطلح إلى أنّه يستعمل في ميادين شتّى، فهو وإنّ ارتبط بالموسيقى، فإنّه أصبح ينسب إلى كلّ شيء، فهناك إيقاع الرقص، وإيقاع الطبيعة، وإيقاع الحركة إلى غير ذلك من الإيقاعات. فالإيقاع- كما يرى عديد الدارسين ومنهم مجدي وهبة- هو "صفة مشتركة بين الفنون جميعاً تبدو واضحة في الموسيقى والشعر والنثر الفني والرقص، كما تبدو أيضاً في كل الفنون المرئية. فهو إذن بمثابة القاعدة التي يقوم عليها أي عمل من أعمال الفن، ويستطيع الفنان أو الأديب أن يعتمد على الإيقاع باتباع طريقة من ثلاث: "التكرار، أو التعاقب، أو الترابط"[1]. ويذهب محمد العياشي إلى أنّ الإيقاع يتوزّع على ثلاث حركات: الحركة اللفظية (الشّعر)، والحركة الصوتية (الموسيقى)، الحركة البدنية (الرقص)"[2].

1- في مفهوم الإيقاع:

أ- الايقاع لغة: الإيقاع لغة من أوقع يوقع إيقاعا، ومنها الميقع والميقعة؛ وهي المطرقة. والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبينها[3]. وقد ربط السجلماسي بينه وبين الوزن فقال "الشعر هو الكلام المخيل المؤلف من أقوال موزونة ومتساوية وعند العرب مقفاة" وشرح الموزونة بقوله "فمعنى كونها موزونة، أن يكون لها عدد إيقاعي ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال إيقاعية، فإن عدد زمانه مساو لعدد زمان الآخر"[4].

وعندما نعود إلى الكلمة الأجنبية (rhythm /rythme) فنجد أنّها ذات أصل يوناني، فهي مأخوذة من الكلمة اليونانية ruthmos) المشتقة بدورها من كلمة (Rheim) الّتي تعني سال.

---

[1]- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 71.

2- محمّد العياشي: نظرية إيقاع في الشعر العربي، المطبعة العصرية، تونس، 1976، ص40

[3]- . يُنظر معجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، ج 1: 257، وانظر: اللسان (وقع).

[4]- نفسه: 257، وانظر: أبو محمد القاسم السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، 1980، الرباط: 281- و: 407.

وحسب بنفيست تعني هذه الكلمة "شكل ما ليس ذا نظام صارم (...) إنّه شكل ارتجالي، آني، متغيّر"[5].

ب- <u>الايقاع اصطلاحا</u>: يكاد يغيب مفهوم الإيقاع جراء ذلك التعميم الّذي ذكرناه، وهو تعميم لا يخصّ ثقافتنا العربية وحدها، بل خصّ الغرب أيضا[6]. ولعل من التعاريف الغامضة ما أورده صاحب «معجم مصطلحات الأدب» الّذي عرّف الإيقاع بأنّه "هو التواتر المتتابع بين حالتي الصمت والصوت أو النور والظلام أو الحركة والسكون أو القوة والضعف أو الضغط واللين أو القصر والطول أو الإسراع والإبطاء أو التوتر والاسترخاء.. الخ، فهو يمثل العلاقة بين الجزء والجزء الآخر، وبين الجزء وكل الأجزاء الأخرى للأثر الفني أو الأدبي. ويكون ذلك في قالب متحرك ومنتظم في الأسلوب الأدبي أو في الشكل الفني"[7]. وهو تعريف- كما يبدو – أغرب المفهوم ولم يوضحه. ولقد حاول مصطفى حركات أن يعطينا تعريف دقيقا للإيقاع، حيث قال: الإيقاع هو حدث متكرّر يُقطّع الزّمن إلى أزمنة متجاورة تربطها علاقات مختلفة"[8].

<u>ثانيا: أشكال الإيقاع في التراث البلاغي:</u>

أ- **الايقاع الصوتي:** يشارك الإيقاع الصوتي الوزن في تكثيف النغم الموسيقي داخل النص الشعري. ولقد أشار البلاغيون إلى جملة من التقنيات الإيقاعية الّتي اعتمدها الشاعر العربي القديم في سبيل تنمية الإيقاع الصوتي داخل القصيدة، ونذكر في هذا المجال:

<u>1-</u> الجناس: هو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى.؛ وهو ينقسم إلى نوعين:

أ- **جناس تام**: وهو اتفاق اللفظتين في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها. ومن أمثلته الممتعة: إذا ملكٌ لم يكن ذا هبهْ. فدعْهُ فدولتهُ ذاهبهْ!

ب- **جناس ناقص (غير تام):** وهو اتفاق اللفظتين في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها مثل قول الشاعر: أشكو أشكـــر فعله فأعجب لشاك منه شاكرْ

طرفي وطرف النجم فيـــه كلاهما ســـــاه ساهرْ

---

5 - Joelle Garde Tamine, Dictionnaire de Critique Littéraire Ceres édition, Tunis 1998, p274.

[6]- مصطفى حركات، نظرية الإيقاع- الشعر العربي بين اللغة والموسيقى، دار الآفاق للنشر والتوزيع، الجزائر، 1429هـ/ 2008م، ص05.

[7]- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 71.

[8]- مصطفى حركات، نظرية الإيقاع- الشعر العربي بين اللغة والموسيقى، ص18.

2- ردّ الإعجاز على الصدر: ويسميه بعض المتأخّرين بـ (التصدير)؛ وهو أن يجعل قبل العجز ما يدلّ على العجز إذا عرف الروي، مثل: سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم وقول الشاعر: سريع إلى ابن العمّ يشتم عرضه وليس إلى داعي النّدى بسريع

ب- **الايقاع الدلالي:** يشكل الإيقاع الدلالي أحد الأنماط الإيقاعية الّتي من شأنها توليد الدفقات الموسيقية في النصّ الشعري. غير أنّ القصيدة العربية القديمة لم تعتمد بشكل كبير على هذا النمط. ويمكن أن نستشف بعض مظاهر الإيقاع الدلالي في النصّ الشعري القديم في:

1- التسهيم: وما يسمّيه بعضهم بالإرصاد أو التوشيح؛ وهو أن يأتي الشاعر في صدر البيت ما يسمح للقارئ أو السامع بمعرفة ما ينتهي إليه عجزه. نحو قول الشاعر:

أنا كالماء إن رضيت صفاء وإذا ما سخطت كنت اللهيبا

ت- **الايقاع الصرفي:** يعتمد النص الشعري ولا سيّما القديم منه على الوزن الصرفي في تحقيق التوليفة الإيقاعية الّتي من شأنها ترقية البعد الموسيقى والإيقاعي بشكل ظاهر وجليّ. وتتنوع أشكال الإيقاع الصرفي في التراث البلاغي، ويمكن أن نذكر منها:

1- الموازنة: وهي أن تكون الفاصلتان متساويتان في الوزن والتقفية أو في الوزن فقط، وهي نوعان:

أ- **الموازنة الكلّيـــة:** وتنشأ حين تكون الفاصلتان متساويتان في الوزن والقافية؛ ومثالها قول بشّار: والبخل في اللقيان قاتله والشوق في الهجران كاربه

ب- **الموازنة الجزئية**: وتنشأ حين تكون الفاصلتان متساويتان وزنا دون تقفية؛ ومثالها قول بشار أيضا: المال أهون هالك والحمد أنفع ما استطعتا

2- الترصيع: وهو ضرب من السجع؛ وهو أن يكون في صدر البيت من الألفاظ أو أكثر ما فيه مثل ما يقابله من العجز في الوزن والتقفية، أو في الوزن فقط، وهو على نوعين:

أ- ما يكون في صدر البيت من الألفاظ مثل ما يقابله في العجز في الوزن والقافية، وهو قليل في الشعر، نحو قول الشاعر: فمكارم أوليتها متبرّعا وجرائم ألغيتها متورّعا

ب- أمّا ما يكون متقابلا في أكثر ألفاظه في الوزن دون التقفية- وهو كثير التداول في الشعر، ومثاله[9]: ومشاعـر شعر وخلق أخلق بحوافــر حفــر وصلب صلّب

ومـن ذلك أيضا : ولقمان لقمان ولقمان راشـــد حمــدان حمدون وحمدان حارث

[9]- قول لأبي تمام يصف حصانا